

توظيف إستراتيجية تأليف الأشتات في تدريس البلاغة العربية في التعليم الثانوي والتعليم الجامعي^١

عطا محمد إسماعيل أبوجبين*

محمد خاقاني أصفهاني**

الملخص

يهدف هذا البحث إلى رؤية مدى إمكانية توظيف إستراتيجية تأليف الأشتات (Synectics) في تدريس البلاغة العربية في التعليم الثانوي والتعليم الجامعي. تعرف إستراتيجية تأليف الأشتات بأنها ربط عناصر لا يوجد بينها علاقة ظاهرة باستخدام فنون علم البيان، وبخاصة المجاز (metaphor) وفنون علم المنطق وخاصة قياس التمثيل والتناظر (analogy) وفق إطار منهجي بهدف التوصل إلى حلول إبداعية للمشكلات. وهذا التعريف ينطبق تماما على الصور البيانية في البلاغة العربية وبخاصة التشبيه والمجاز والاستعارة. إن القدرة على رؤية علاقات المشابهة المبطنة التي يفتقدها معظمنا هي في الواقع السمة المميزة للمبدع الحقيقي، كما أن البحث عن الانسجام ووجه الشبه غير الظاهر بين الأشياء والظواهر والخبرات المتباعدة يمثل جوهر عملية الإبداع في العلوم والآداب والفنون. سنستعرض في هذا البحث تلك الإستراتيجية، وكيف وظفها علماء الغرب لتنمية الإبداع، ومدى ملاءمتها لتدريس مادة البلاغة العربية في الجامعة وفي المرحلة الثانوية، مع إعطاء نماذج تطبيقية على كيفية تطبيق هذه الإستراتيجية؛ حيث تؤدي في الوقت نفسه إلى تنمية إبداعات الطلبة في كل المجالات.

الكلمات المفتاحية: تعليم البلاغة، تأليف الأشتات، التناظر، جعل المألوف غريبا، جعل الغريب مألوفا.

١- تاريخ التسلم: ١٣٩٣/٧/٨هـ. ش؛ تاريخ القبول: ١٣٩٤/٢/٨هـ. ش.

* أستاذ مشارك بجامعة القدس.

** أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان.

١- المقدمة

يرجع التريويون وعلماء النفس الفضل في وضع أسس هذا البرنامج إلى العالم جوردون (Gordon) من خلال وصفه لبرنامج تحفيز الإبداع والتفكير، ولكننا نرى بأن العرب كانوا أسبق إلى وضع أسس هذا البرنامج، واستخدموه بشكل واسع، ولو أنهم لم ينظروا له ويوثقوه بمفهومه المعاصر، ويرجع علماء الغرب أنفسهم أصول هذه النظرية إلى العلماء العرب، كالحسن بن الهيثم وابن النفيس، وغيرهم من علماء العرب الأوائل، حيث كانوا متعددي المواهب ومبدعين في مختلف العلوم الطبيعية والأدبية وعلم الكلام والحديث، وكان يطلق عليهم اسم الحافظ لتعدد مواهبهم وفروع العلم التي يتقنونها. أما في مجال اللغة والأدب فسترى تلك الأصول متحققة عند طرحنا للأمثلة التي جاء بها المبدعون المسلمون القدامى وبخاصة في البلاغة، ولكن لم تستغل هذه الإبداعات فيما بعد للتطوير، ولم يشر إليها حتى من خلال التطور التاريخي لهذا المفهوم، ونسبت كما نسب غيرها من الإبداعات والاختراعات إلى غير المسلمين، ولعل ما أصابهم في العصر الحاضر من الجمود والتخلف انعكس حتى على وصف ماضيهم المشرق. ولسنا بصدد الحديث عن هذا الأمر ولكنني حين تمعنت في أصول هذه النظرية أدهشني ذلك الكم الهائل من التطبيقات في اللغة العربية كما سنوضح فيما بعد.

١. الإطار النظري

يعرف تأليف الأشتات بأنه ربط عناصر لا يوجد بينها علاقة ظاهرة باستخدام فنون علم البيان، وخاصة المجاز (metaphor) وفنون علم المنطق وخاصة قياس التمثيل والتناظر (analogy) والتشبيه وفق إطار منهجي بهدف التوصل إلى حلول إبداعية للمشكلات (جروان، ٢٠٠٢م، ص ٢٢٨).

وهنا لا بد من الإشارة إلى مفهومي المجاز، والتناظر (التشبيه) في علم البلاغة، ولن نتطرق إلى شرح أو تعريف هذه المفاهيم كون هذا الكتاب موجهًا للمتخصصين في اللغة العربية، ولا يخفى عليهم المقصود بهذه المفاهيم التي أفاضت كتبنا البلاغية في شرحها، وهي متوفرة حتى على مستوى طلبة الثانوية، وهنا نذكر فقط بأن المجاز يعني استخدام كلمة أو عبارة في غير ما وضعت له في الاصطلاح، والمجاز ضربان: مرسل إذا كانت العلاقة لغير المشابهة؛ كاليد إذا استعملت للنعمة، واستعارة إذا كانت العلاقة للمشابهة، وأنواعها، وأمثلتها كثيرة، كقوله تعالى: ﴿واشتعل الرأس شيباً﴾ (١٩: ٤) (الفزويني، ٢٠٠٨، ص ٢٧٦).

فإذا كان المجاز في اللغة والأدب ينطوي على قيمة جمالية وبلاغية في التعبير، فإنه يحمل دلالات تفسيرية أو تحليلية في الفلسفة، والعلوم؛ إنه استخدام خبرة معينة لإلقاء الضوء على خبرة أخرى، كما أنه يساعدنا على الفهم والاستيعاب والاستبصار وتوضيح المفاهيم وتفسيرها. أما بالنسبة للتناظر فإن له مفهومًا واسعًا في علم المنطق والرياضيات والعلوم الطبيعية واللغة والفن والسياسة، أما ما قصدناه بالتناظر في اللغة العربية فإنه أقرب ما يكون إلى التشبيه الذي هو أحد فنون الكلام، وأنواعه كثيرة تحفل بها كتب البلاغة، ولن نتعرض لها هنا إلا من خلال ما سنتعرض له من أمثلة توضح ما نسعى إليه.

إن عمليتي المجاز والتناظر بالمفهوم الاصطلاحي هما عمليتا محاكمة عقلية، استخدمتا في الفلسفة والأدب والفن والعلم والتربية منذ أكثر من سبعين عامًا، وهما من المقومات الأساسية لوجود الإنسان وتطور الحضارة الإنسانية في مختلف الميادين، وكلاهما يتضمن مهارات تفكير متعددة ومتنوعة من حيث مستوى التعقيد الذي تنطوي عليه، ومهارة المقارنة بين شيئين أو أشياء لا تبدو مترابطة هي العامل المشترك بينهما. ومن أجل ذلك فقد حظيت هاتان العمليتان باهتمام بالغ من قبل العلماء والباحثين في مجال علم النفس المعرفي، والدراسات التجريبية، والعلوم والفلسفة (جروان، ٢٠٠٢م، ص ٢٣٠).

إن ما يهمنا هنا هو كيفية تطبيق هذه البرامج في اللغة العربية، ولاشك بأنه إذا استغلت هذه البرامج في تدريس مادة البلاغة فستضفي عليها متعة بالغة، مبتعدين بها عن الأمثلة الجامدة، والتجريد، وستدرس بأسلوب جديد يضفي عليها الحيوية، والإبداع، والتفكير، والربط بين الإبداع البلاغي، والإبداع في المجالات الأخرى، وستجد من بين الطلبة من ستواتيه الأفكار اللامعة الخلاقة من خلال استخدام هذا الأسلوب في التدريس، والابتعاد عن النمطية المعهودة في تدريس هذه المادة، وسنقدم لك بعض الأمثلة من خلال فهمنا لهذه الاستراتيجية، دون إقحام. وسنوضح من خلال الشرح المبادئ النظرية لهذه الإستراتيجية في أثناء التطبيق.

إن القدرة على رؤية علاقة المشابهة المبطنة التي يفتقدها معظمنا هي في الواقع السمة المميزة للمبدع الحقيقي، كما أن البحث عن الانسجام ووجه الشبه غير الظاهر بين الأشياء والظواهر والخبرات المتباعدة يمثل جوهر عملية الإبداع في العلوم والآداب والفنون، وتكمن الأعمال الإبداعية في اكتشاف علاقة المشابهة التي لم يجدها أحد من قبل، وقد أطلق النقاد القدامى على ذلك الصور البلاغية غير المسبوقة أو صاحب السبق في هذا المعنى الإبداعي، كما سنرى عند المتنبي وغيره من الشعراء، وظهرت فيما بعد فيما سمي بالسرقات الأدبية عن طريق تحوير المعنى الإبداعي الذي جاء به شاعر معين سابق مع أن الإبداع لا يحد، وقد يقع الحافر على الحافر كما قيل، ومن هذه المعاني الإبداعية غير المسبوقة قول المتنبي:

تعجب من خطي ولفظي كأنما ترى بحروف السطر أغربة عصما

فهذه الصورة الإبداعية غير مسبوقة؛ أي في طرف جناحه بياض كالتحجيل في الفرس، وهي صفة مستحبة في الخيل والغزلان، فقد شبه الكتابة على صفحة بيضاء بالغراب الذي يظهر في طرف جناحه بياض، وهذه الصورة المتخيلة بعيدة، ومن هنا نرى قدرة الشاعر على رؤية العلاقة المبطنة ووجه الشبه غير الظاهر، وقد أردنا بهذا المثال توضيح ما ذهبنا إليه، وسنعود إليه في موقع آخر عند الحديث عن جعل الغريب مألوفاً، والمألوف غريباً وهو مكون مهم من مكونات هذه الاستراتيجية. ونستعرض مثالا آخر لتوضيح ذلك وهو قول أبي تمام في المعنى نفسه:

مدادٌ مثل خافية الغراب وقرطاس كرقراق السراب

فكيف تظهر بلاغة التشبيه عند المتنبي وأبي تمام، خلال استخدام الصورة البيانية (التشبيه).

أما قول المتنبي في وصف الخيل:

وملمومة سيفية ربيعية يصيح الحصى فيها صياح اللقالق

(الملمومة: الكتيبة من الجيش، سيفية: منسوبة إلى سيف الدولة، ربيعية: منسوبة إلى ربيعة، اللقالق: نوع من الطيور المهاجرة لها صياح عال وهي طائفة).

فمن الذي سيكتشف هذه الصورة المستعارة من شيء لا يتصوره العقل، وكيف وظف الشاعر الاستعارة (يصيح الحصى) للإتيان بصورة مبتكرة؛ فقد شبه صوت وقع حوافر الخيل على الحصى نتيجة لسرعتها وقوتها وعنفوانها، بصياح اللقالق في السماء، فمن يتخيل هذه الصورة البعيدة إلا العقل الإبداعي غير المحدود والمنطلق من عقله. وإنما أردنا فقط بهذه الأمثلة توضيح كيفية اكتشاف علاقة المشابهة الإبداعية التي لم يكتشفها أحد من قبل لتوضيح مفهوم تأليف الأشعار (فاللقالق، والصياح، والحصى، وسرعة الفرس، وصورة الجيش الزاحف، وغيرها، استطاع الشاعر أن يكون منها صورة استعارية جميلة لا تخطر على الذهن. تخيل صياح اللقالق في السماء، وصوت حوافر الخيل تضرب بالحصى) (القزويني، ٢٠٠٨م، ص ٧٠).

ولعل من أهم أولويات تدريس مادة البلاغة، اكتشاف المبدعين، والتركيز على إبداعاتهم، حيث إن هذه الإبداعات في اللغة تؤدي إلى إبداعات في مجالات أخرى في العلوم المختلفة نتيجة لاستخدام أسلوب المجاز والتشبيه (التناظر) وعدم الاقتصار على الأنشطة اللغوية البحتة، فإذا ما تم توجيه انتباه الطلبة إلى ذلك والربط بين عملية الإبداع برمتها وبين الإبداعات البلاغية المختلفة كما سنرى لاحقا فإن ذلك سيؤدي إلى نتائج إيجابية في التفكير والإبداع والقدرة على التخيل، ولأننا اعتدنا ولعقود طويلة على نمط معين في تدريس مادة البلاغة، وقد اكتسب هذا النمط صفة القداسة في تناول الموضوعات البلاغية، فنتوقع أن نجد صعوبة في طرح هذه المفاهيم عند التدريس، ولكن من المؤكد بأننا سنجني ثمار هذه العملية، وسنكتسب مهارات جديدة، وسنتمكن من الإبداع في تدريس هذه المادة والنظر إليها من منظور آخر، وستكتشف ذلك بنفسك من خلال مناقشة الطلبة، وسنوضح لك بعض الأمثلة التي سنطرحها، لا أقول لتقيس عليها؛ بل لتطورها عند استخدامك لها، لأنها ليست إلا نماذج فقط، وبخاصة في هذا المجال الذي نتعاون جميعا لتقديم ما قد يسهم في تنشئة أجيالنا تنشئة إبداعية، والأخذ بيد معلمينا نحو ما ينفعمهم وينفع أمتهم، فلتأمل النماذج الآتية التي قد تكون بعيدة عن اللغة، ولكن بعض المبدعين تمكنوا من اختراقات إبداعية نتيجة استخدامهم لأسلوب التشبيه، والمجاز الذي تم استعارته أصلا من اللغة، وتتميز به لغتنا العربية بل تفوق في ذلك كل لغات العالم.

- ١- فقد تمكن "مارك برونيل" من جعل نظام أنفاق السكك الحديدية في لندن أمرا ممكنا من الناحية الفنية، وذلك من خلال تعلمه أسلوبا في شق الأنفاق عن طريق دودة الخشب (تناظر أو تشبيه) (جيوفري، ١٤٢٢هـ، ص ٥٨).
 - ٢- تمكن "بل" من تصميم وحدة الاستقبال بالهاتف عن طريق اكتشاف وظيفة عظام الأذن الداخلية، وتصميم الشكل الخارجي لوحديتي الاستقبال والإرسال على شكل صيوان الأذنين (تشبيه).
 - ٣- توصل "كيكولي" عالم الكيمياء الألماني إلى اكتشاف حلقة البنزين الذي نال عليه جائزة نوبل عن طريق صورة ذهنية لأفعى تتلوى، وتلف رأسها لتعض ذنبها (تشبيه).
 - ٤- استخدام تقنية بناء بيت العنكبوت، والدخول إليه والخروج منه بتصميم تقنية إغلاق بدلات رواد الفضاء (استعارة صورة من عالم الحيوان لحل مشكلة في علم الفضاء) (المصدر نفسه).
- ليست هذه المخترعات سوى استعارات بمفهومها الواسع من عالم الحيوان أو من جمادات أوحى لهؤلاء العلماء بتلك الاختراقات الإبداعية، ولا شك أننا لدينا هذه القدرات إذا تم لفت النظر إليها بطريقة إبداعية توحى بالإبداع والاختراع.

١.٢. تقنيات التناظر

سنعرض لهذه التقنيات باختصار شديد؛ وذلك لأهميتها للمدرس لكي يقيس عليها فيما يتعرض له من أمثلة، ويستغلها عندما يجد ساحة لذلك، وبإمكانه تطبيقها على جميع المراحل الدراسية، وهنا نود أن نشير بأن أغلب تطبيقات هذه الإستراتيجية تلائم المواد العلمية كالأحياء، والكيمياء، وغيرها، ولكن العقل المبدع يستطيع الاستفادة منها وتحويرها، وتطويرها، وتكييفها بحسب المادة التي يدرسها ومدى ملاءمتها لموقف معين، فكثير من النظريات التربوية المعاصرة كانت في البداية تطبق في مجال آخر بعيد عن التربية والتعليم، وقد أوحى للعلماء والمفكرين بإمكانية تطبيقها في مجالات مختلفة فكان الإبداع. ومن هنا سنعرض لهذه التقنيات، وسنرى كيفية تطبيقها في مجال تدريس اللغة العربية بمختلف فروعها مع التركيز على مادة البلاغة التي يتم تناولها عادة في المرحلتين الثانوية والجامعية.

١. تقنيات التناظر المباشر: وتعتمد هذه النظرية اعتمادا مباشرا على مفهوم الاستعارة، فكما يستعير الشاعر صورة للتعبير بها عن صورة أخرى مستخدما المجاز اللغوي، كذلك فإن العلم يستعير صورة من عالم الحيوان كما رأينا في المثالين (دودة الخشب، والعنكبوت) لحل مشكلة في عالم الفضاء، أو قطارات الأنفاق. وهذه التقنية من أكثر التقنيات المستخدمة وضوحا ومباشرة، وتؤدي إلى إنتاج أفكار جديدة بصورة سريعة، مستخدمة في ذلك الحقائق والمعارف والتكنولوجيا في إيجاد علاقة التناظر والتشابه التي تسهم في حل إبداعي للمشكلة.

إن أغلب التشبيهات البلاغية في لغتنا قائمة على علاقة التناظر، وهي مرادفة لكلمة المشابهة، فكل الصور البلاغية التي استخدمها الشعراء تعتمد على هذه التقنية، وكلما كانت الصورة بعيدة المنال كانت أوقع في النفس وأجمل، وسنكتفي بإيراد مثال واحد على كيفية تطبيق مبدأ التناظر المباشر في اللغة العربية، وذلك لكثرة الشواهد البلاغية الجمالية في اللغة، وقد اخترنا لك مثالا يوضح لك كيف استعار الشاعر تلك الصورة الغريبة البعيدة، وجعلها مألوفة رائعة تثير الإعجاب، مما يزيد في تدوقنا لجمال لغتنا، وبيانها الرائع، وسنروي هذه القصة التي حدثت بين الشاعرين؛ جرير، وعدي وهي مقتبسة من كتاب الإيضاح للقزويني:

"يحكى أن جريرا قال: أنشدني عدي:

عرف الديار توهمها فاعتادها من بعد ما شمل البلى أبلادها

فلما بلغ قوله: تزجي أغن كأن إبرة روقه، رحمته، وقلت: "قد وقع، ما عساه أن يقول وهو أعرابي جلف جاف؟! فلما قال: قلم أصاب من الدواة مدادها. استحالت الرحمة حسدا" (القزويني، ٢٠٠٨م، ص ٩١)

لماذا رحمه؟ ولماذا حسده؟ لا شك أن تلك الصورة الجميلة التي استعارها الشاعر في تشبيه جمال الصوت وغمته، فعندما ذكر (إبرة روقه) ويقصد بها اللسان "حسب جرير أن الشاعر قد افتتح التشبيه بصورة لا تحضر في الذهن، وبم شبيهه اللسان. كل تلك التدايعات خطرت على بال جرير قبل أن يكمل عدي بيته، فأشفق عليه، ولكنه عندما أكمل الصورة الجمالية، وشبه أداة الصوت (اللسان) بالقلم الذي أصاب من الدواة مدادها، فقد ظفر الشاعر بصورة جمالية جعلت جريرا يحسده عليها، ونحن نعرف من جرير! وما إبداعه الشعري! فلا شك أن تلك الصورة أثارت إعجابه، بل تأثر بها تأثرا شديدا؛ مما جعله يحسده عليها لأن تفكيره عجز عن تخيلها في البداية، وعندما أتم الشاعر الصورة واكتملت في الذهن أخذته النشوة والإعجاب، ولا شك أن الكلمات المتناثرة المكونة للصورة تبدو بعيدة كل البعد عن الإدراك (لاحظ: القلم، الإبرة، الأغن، الدواة، المداد) لو أعطيت هذه الكلمات وطلبت إلى مجموعة من المبدعين أو الشعراء أن يكونوا منها صورة هل تتوقع أن يصلوا إلى ما وصل إليه ذلك الشاعر (البدوي الجلف)؟!؟

هذا بالإضافة إلى ما في البيت من جمال في وصف الصوت بالأغن، وهي من أجمل الصفات الموحية، ثم تشبيه اللسان بالإبرة لدقته، ورقته وهي صفة جمالية أخرى في المرأة، ثم إضافة كلمة الروق بإيجائها الجميل، ثم أتى إلى الإبداع اللامتناهي في وصفه بالقلم الذي غمس في الدواة فصار لونه مسودا وهي أيضا من الصفات الجمالية في المرأة فكلمنا كان اللسان دقيقا، ويميل إلى الاسوداد كان أكثر دلالة على الرقة والجمال، و بالإضافة إلى ذلك رأينا في تلك الصفة التي لم يلتفت إليها النقاد والبلاغيون عند الشاعر وما نستشفه من خلال البيت، فقد وصفها بالحياء والخجل من خلال افتتاح البيت بكلمة (تزجي)؛ فكأنها تخرج الكلام عنوة لشدة حياؤها وخجلها، فدلالة كلمة تزجي التي بمعنى تدفع، كأنها تجبر نفسها على الكلام لشدة حياؤها فلا تكاد تستبين كلامها. وذلك أوقع في النفس، فتخرج الكلمات من فيها أشد غنة، وتلفت النظر وتشد الانتباه لتبين، وسماع ما تقول، وهذا هو

مدلول كلمة تزجي الحقيقي، وكثير من الناس يستخدمها اليوم بصورة مغايرة، كقولهم: أزجي لك تحياتي وما شابه ذلك، ولعلها اكتسبت معنى آخر جديدا يوحى بهذا المفهوم اليوم للدلالة على شدة الشوق والعواطف الجياشة المتدفقة.

وانطلاقاً من قاعدة "الفهم يؤدي إلى التدوق" لا بد للمدرس أياً كانت المرحلة التي يدرسها من توضيح الصورة، وذلك بحسب الموقف التعليمي، وشدة غموض الصورة، ويجب أن يكتشفها الطالب بنفسه، ويكد الذهن في اكتشافها، وليس شرطاً أن توضحها مباشرة كما فعلت (أنا) في هذا المثال، بل من خلال الأسئلة والمناقشة ولكل شيخ طريقة.

لوطبقنا نظرية تآلف الأشتات على هذا البيت الذي اخترناه لك بعيداً بعض الشيء عن التشبيهات المألوفة؛ لكي يسهل عليك القياس على أمثلة أخرى، فسترى أن هذه التقانة متحققة فيه من وجوه:

الأول: تآلف الأشتات الواضح في الكلمات المتنافرة التي جمع منها الشاعر تلك الصورة البلاغية الجميلة.

الثاني: جعل المألوف غريباً: فأنت ترى كيف شبه اللسان ليس فقط بالقلم؛ بل ذلك القلم المغموس في الحبر، فالقلم سيكتب شيئاً جميلاً ممتعاً، وكذلك اللسان سيخط في قلبه بياناً.

الثالث: استخدام أسلوب التناظر المباشر في التشبيه.

وهكذا يمكن التطبيق على كثير من الأمثلة سواء في أنواع التشبيهات المختلفة وبخاصة تشبيه التمثيل، فلو تناولت أي مثال منها ستجده غنياً بالصور أو الاستعارة، ومن هنا سيبدع المعلم في إثراء تدريس مادة البلاغة؛ بحيث ينتقل من مفاهيمها المجردة التي تنتهي عند إدراك الصورة البلاغية إلى إنتاج اللغة الجميلة، واستخراج مكنوناتها من دخائل الطلبة من خلال تحفيز أذهانهم بالطلب إليهم بتشكيل صورة جديدة من عدة مفردات غير متآلفة، وستجد العجب العجاب في إبداع الطلبة، وباستطاعتك أن تحول حصة البلاغة إلى حصة ممتعة تطبيقية يتدوق فيها الطلبة جمال اللغة وقوتها بالإضافة إلى إنتاجها.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن كثيراً منا سيحتج بعدم وجود الوقت الكافي للتحليل والمناقشة أمام ازدحام المقررات الدراسية، وهذا يشكل عائقاً كبيراً أمام إعطاء هذه الموضوعات (الإبداعية) حقها من المناقشة والتفكير. وهنا نقول بأن التطوير يجب أن يتناول المنهج، والتدريب أيضاً، وأن يدرك كل من المعلم والمؤلف أن التركيز اليوم يجب أن يكون على الكيف، وليس على الكم أمام التراكم الهائل للمعلومات، وبالمقابل سهولة الوصول إلى أي معلومة ييسر نتيجة استخدام مصادر المعرفة التي أصبحت ميسرة تقريباً للجميع.

ومن الأسئلة المباشرة التي يمكن طرحها داخل المحاضرة على تقنية التناظر المباشر، ولأي مرحلة والإتيان بأمثلة محسوسة من واقع الطلبة وبيئاتهم مثل: بماذا تشبه غرفة الصف خلية النحل، أو بيت النمل؟ بماذا تشبه الكلية الغريال؟ بماذا تشبه المواد الدراسية الحافلة المزدحمة بالركاب؟ بماذا تشبه البعوضة طائرة الهليكوبتر؟ بماذا يشبه الكمبيوتر عقل الإنسان؟

١. تقنية التناظر الشخصي: ويمكن استخدام هذه التقنية مع الأطفال الصغار اعتباراً من هم في مرحلة ما قبل المدرسة حتى أعلى المراحل، وتقوم هذه التقنية على التخيل، كأن يتخيل الفرد نفسه مكان الشيء المتخيل أو الموضوع المطروح للمناقشة، فيتخيل التلميذ نفسه عصفوراً يعزف على آلة موسيقية أو سيارة محطمة أو جسراً أو مركبة فضائية.

وقد يجد الشخص الصارم والمنغلق على نفسه صعوبة في ممارسة هذه التقنية؛ لأنها تثير قدراً كبيراً من القلق وعدم الشعور بالأمن، ومن ثم فإن استخدام هذه التقنية بفاعلية يتطلب من الفرد نسيان نفسه والتخليق فوقها ليتحول ذهنياً إلى شيء آخر، وقد توصل جورردون صاحب هذه النظرية إلى أنه يتعين لنجاح هذه التقنية التوحد العاطفي مع الشيء المتخيل وليس تمثيل الدور، لأن

تمثيل الدور في تقنية التناظر الشخصي عديم الفائدة في حل المشكلات ؛ لأن الفرد بدلا من أن يجعل المألوف غريبا ، فإنه يجعل الغريب مألوفا ، أما من حيث درجة انغماس الفرد في تقنية التناظر الشخصي فهناك أربعة مستويات (جروان ، ٢٠٠٢ م ، ص ٢٤١) :

١ . وصف الفرد للحقائق : ويعتبر هذا المستوى سطحيا ؛ لأنه لا يتطلب من الفرد أكثر من إعطاء حقائق أو معلومات حول الشيء الذي يتخيل نفسه مكانه ، مثل : ضع نفسك مكان طيار تعطل أحد محركات طائرتة .

٢ . وصف الفرد للعواطف ، مثل : كيف تصف مشاعرك لو كنت وزيرا أو قاضيا أو رئيسا للبلدية؟

٣ . التوحد العاطفي مع كائن حي : ويعتبر هذا المستوى تناظرا حقيقيا ويمثل انغماسا عاطفيا وحركيا نشطا مع الكائن الذي يتخيل الفرد نفسه مكانه ، مثلا : تخيل نفسك مدير مدرسة ، كيف ستصرف؟ تخيل نفسك عصفورا أو سمكة؟

٤ . التوحد العاطفي مع كائن غير حي وهذا أشد مستويات التوحد تعقيدا لصعوبة أن يتخيل الفرد نفسه جمادا ، مثل : تخيل نفسك سفينة تتعرض للغرق أو تخيل نفسك بدلة رائد فضاء أو سيارة محطمة .

٢.٢. كيف يمكن للمعلم الاستفادة من تطبيق ذلك في التدريس؟

لا شك أن هذه الأفكار تعتمد اعتمادا مباشرا على التشبيه وستثير لدى الطلبة توليد صور وأسئلة طريفة ؛ حيث يقوم المعلم بإثارة تفكير طلبته من خلال مضمون الدرس الذي يقوم بإعطائه ، وقد نبهنا سابقا على قضية عدم الإقحام في قضايا التفكير ؛ لما لذلك من أثر سلبي على الطلبة. وعليه أن يطرح مثل هذه القضايا بذكاء ، فيستطيع الإنسان أن يتخيل نفسه في عدة مواقف ، ويملك حرية الاختيار في ذلك ، وفي داخل هذه الحرية تكمن الملكات الطبيعية التي تجعلنا متفردين في إنسانيتنا ، فبالإضافة إلى إدراك الذات نمتلك ملكة الخيال وهي القدرة على أن نخلق في عقولنا صورا فيما وراء واقعنا المعيش ، في حين تفتقر جميع الكائنات الأخرى لهذه الملكات .

٢ . تقنية التناظر الرمزي : ويقصد بها استخدام صور ذهنية ، وموضوعية وغير شخصية لوصف المشكلة ، وقد تكون الصور الذهنية التي يستحضرها الفرد على طريقة الشعراء غير دقيقة من الناحية العملية ، ولكنها تحقق رضا من الناحية الجمالية التذوقية ، وكثيرا ما نرى ذلك في عناوين الكتب والمؤلفات ، والقصائد الشعرية ، فهي غالبا ما تعبر عن السياق الذي يستخدم فيه التناظر الرمزي : فقد يكون العنوان موحيا بنوع من التناظر الرمزي المشتق من التعميم الذي يحمله العنوان حول قضية أو موضوع ما ، ولذا ترانا كثيرا ما نعجب ببعض العناوين للكتب أو القصائد أو المسرحيات وغيرها ، فنقوم باقتنائها وقراءتها بناء على ما يوحيه لك ذلك التناظر الذي تحس بجماله وروعته ، وكلما كان عنوان الكتاب أو القصة أو العمل الأدبي أكثر جمالية كان أشد إثارة وإغراء ، ولذا تفنن الكتاب والشعراء في اختيارها وذلك دلالة على إبداعهم ، لاحظ مثلا : تاريخ موجز للزمن ، يغير ألوانه البحر ، قرارة الموجة ، الظل المضيء ، الأشجار تموت واقفة ، بانتظار جودو ، مأساة النرجس ، السفينة السكرى ، الأرض اليباب ، أربعاء الرماد ، حب تحت المطر ، الذي يأتي ولا يأتي ، رجال تحت الشمس ، رأيت رام الله ، فكل عنوان يوحي لك بنوع من التناظر الرمزي ، وكثيرا ما تتوقع مضمون الكتاب أو القصيدة من خلاله .

٤ . تقنية التناظر الخيالي : وترتبط هذه التقنية بالتفكير القائم على الرغبات والتمني ، وتؤكد هذه التقنية القدرة على التخيل في العملية الإبداعية مما حدا بالعالم اينشتاين إلى القول : الخيال أكثر أهمية من المعرفة .

وتستخدم هذه التقنية بفاعلية خلال المرحلة الأولى من تطبيق إستراتيجية جعل المألوف غريبا، حيث إن الفرد في هذه المرحلة مطالب بأن يطلق لخياله العنان وتصور العالم كما يريده هو، لو كان يملك القوة والثروة المطلوبة، وكذلك أن يضع حلا خياليا للمشكلة موضع البحث.

ونرى بأن هذه التقنية تتجلى بوضوح وجلاء من خلال قصص الخيال العلمي، وخيال الشعراء البعيد الذي نراه في الصور البيانية، والاستعارات الجميلة، ومن هنا تعد استخدام هذه التقنية في المرحلة الأولى في تعليم الأطفال مهمة جدا؛ حيث يتمتعون بخيال جامع، وقد أظهر كثير من الدراسات أهمية الخيال بالنسبة للأطفال، ولذا نوصي بالإكثار منها في مرحلة رياض الأطفال، والحلقة الأولى من التعليم الأساسي، وأن يشجع المعلم التلاميذ على إطلاق خيالهم. إن ممارسة التلاميذ لهذه التقنية ليس مجرد رياضة عقلية أو نزهة ذهنية ترفيهية فحسب، ولكنها عملية هادفة في إطار منظومة مترابطة لتحفيز كامل لقوى الفرد العقلية والعاطفية في مواجهة المشكلات التي يراود حلها بطريقة إبداعية.

فإذا استخدمنا الناظر الرمزي في الأدب، وبخاصة الشعر والقصة، فبالرجوع إلى المثالين اللذين طرحناهما سابقا (المتنبى) نرى كيف استطاع الشاعر أن يجعل المألوف غريبا في تصوير الكتابة على السطح الأبيض بالغراب الذي في طرف جناحه بياض؟! وهذه الصورة لا تخطر على الذهن، وكذلك صوت الحصى تحت حوافر الخيل بصياح اللقالق. ويمكن استخدام هذه التقنية في إثارة خيال الطلبة عند قراءة القصص؛ بحيث يطلب إليهم إكمال قصة غير معروفة النهاية لديهم، وهنا يظهر إبداع التلاميذ وقوة تفكيرهم وخيالهم، ويكتشف المبدعين منهم، كما يمكن استبدال نهاية جديدة متخيلة للقصة بالنهاية المعروفة وهكذا نستطيع إسقاط هذه الإستراتيجية والاستفادة منها في مجال اللغة وتطويرها، وإثارة الخيال والإبداع.

٣. منطلقات البحث

انطلق جوردون من الافتراضات الآتية في استخدام برنامجه في المدارس والجامعات لتحفيز الإبداع لدى الطلبة، معتقدا بأن عملية التعلم تشبه إلى حد بعيد عملية الإبداع:

- ١- إن المعرفة بالعمليات السيكلوجية للتعلم سوف تساعد على زيادة فاعلية التعلم؛
- ٢- المكونات العقلية، والعاطفية، والمنطقية، وغير المنطقية لها نفس الأهمية في عملية التعلم؛
- ٣- التعلم الناجح يتطلب الإقحام المباشر للعناصر العاطفية وغير العقلانية في العملية التعليمية؛
- ٤- الإبداع مهم في مناحي حياتنا اليومية جميعها؛
- ٥- العملية الإبداعية ليست سحرا أو لغزا غامضا، ومن الممكن تدريب الناس ليكونوا أكثر إبداعا؛
- ٦- الابتكار الإبداعي متشابه في جميع الحقول وعملياته العقلية متشابهة كذلك.

الابتكار الفردي والجماعي متشابهان من حيث عمليات التفكير المتضمنة فيهما (William J.J.Gordon، ١٩٦١م، ص ٣٣٢). وبناء على هذه المنطلقات فقد تم تطوير عدة مقررات دراسية في الرياضيات والعلوم والفنون والدراسات الاجتماعية وغير ذلك لتسهيل استخدام هذا البرنامج في المدارس، وقد حدد جوردون استراتيجيتين يمكن استخدامها لتعميق فهم الطلبة وتطوير قدراتهم على التفكير الإبداعي، وهما: (Gordon، ١٩٦١م).

١. جعل ما هو غريب مألوفا (Making the strange familiar).

٢. جعل ما هو مألوف غريبا (Making the familiar strange).

(ملاحظة: المجاز بنوعيه؛ الاستعارة والمجاز المرسل كله من قبيل جعل المألوف غريبا أو جعل الغريب مألوفاً، فالمجاز يعني استعمال اللفظ في غير ما وضع له أي نقله من الحقيقة إلى صورة أخرى بعيدة، ونحن نستعمله بكثرة دون وعي منا في أحيان كثيرة، وقد استخدمه الأطفال أيضا بالسليقة فكثيرا ما نسمع من طفلة صغيرة تصف أختها بالقمر وهي تقول: جاء القمر، فلو قلت: أسأل القرية فقد جعلت الغريب مألوفاً (القرية) عن طريق استخدام المجاز الوارد في كلمة «أسأل»، وكذلك عند استعمال اليد للنعمة كما في قول الشاعر:

له أياد علي سابغة أعد منها ولا أعدها

وكذلك يكثر جعل الغريب مألوفاً في التخيل، واستخدام التناظر الشخصي كما مر عند الحديث عن ذلك.

ولو قلنا عبارة: الحمايم تدرج فوق السطح الهادئ، فهذه الاستعارة في تشبيه السفن بالحمايم، فعن طريق الصورة المتخيلة جعلنا هذا الغريب مألوفاً لنا من خلال إدراكنا للصورة المجازية، فالحمايم لا تدرج على سطح البحر وإنما السفن، وهكذا في كثير من الأمثلة. ومن وجوه استخدام الاستعارة إخراج ما لا يدرك إلى ما يدرك بالحواس، وهذا ينطبق تماما على هذه الاستراتيجية، وقد اقتصرنا على الأمثلة اللغوية ولم نتطرق إلى الأمثلة العلمية التي ذكرنا بعضها منها عند استعارة صورة دودة الخشب لقطارات الأنفاق (دودة الخشب صورة مألوفة، استعارتها لقطارات الأنفاق أصبح المألوف غريبا). وكذلك يكثر جعل الغريب مألوفاً في التخيل، واستخدام التناظر الشخصي كما مر عند الحديث عن ذلك.

وبناء على التطبيقات التي أجريت في مدارس عديدة وجد جوردون أن استخدام الإستراتيجية الأولى أكثر فاعلية في بناء قاعدة معرفية لدى الطلبة، وتعلم المواد الدراسية من أجل قدرتهم على تطوير وتوليد نماذج من المجاز والاستعارات والتشبيهات أو الأشياء المتناظرة.

أما الإستراتيجية الثانية فقد وجد أنها أكثر فاعلية في المواقف الإبداعية التي تتطلب التوصل إلى أشياء جديدة أو حلول ابتكارية. ويمكن للمعلم اتباع الخطوات الآتية عند تطبيق هذه الإستراتيجية:

١. عرض الموضوع: يختار المعلم موضوعاً أو كلمة ثم يسأل الطلبة أن يصفوا الموضوع أو الكلمة بكتابة فقرة، إما فرادى أو على شكل مجموعات لو فرضنا في اللغة العربية أن المعلم أعطى التلاميذ كلمة بحر أو نمل أو مطر أو سماء أو كلية أو قلب وغيرها.
٢. استخدام تقانة التناظر المباشر: يطلب المعلم إلى التلاميذ أن يفكروا في تكوين قائمة من أوجه الشبه أو الخصائص المتطابقة بين كلمتين أو ذكر ما يتوارد على خاطرهم من أفكار توحى بها الكلمة أو المعنى الذي تم إعطاؤه، فلو أخذنا كلمة قلب من القائمة السابقة، وطلبنا إلى التلاميذ أن يكونوا قائمة من التدايعات التي توحى لهم بها هذه الكلمة، سيأتون بكلمات أخرى من إحياء هذه الكلمة مثل: حب، أمل، مضخة بنزين، حياة، عضلات، محافظة، مرض، رياضة، صمام، شريان، قلب صناعي، توقف، دماغ، أكسجين، وغيرها. وقد يأتي التلاميذ بأعداد هائلة من إحياء هذه الكلمة (وهو ما يسمى بالتفكير المشع) ثم عن طريق التناظر المباشر بين الربط بين الكلمتين نستطيع إيجاد الأفكار الإبداعية، والتشبيهات الجميلة، والغريبة وغير المألوفة التي يأتي منها الإبداع الحقيقي، ويتوصل الطلبة إلى أفكار إبداعية من وحي هذه الإستراتيجية إضافة إلى المتعة التي يشعرون بها أثناء التفكير، وتوليد الكلمات، والأفكار، والصور، وتظهر إبداعاتهم غير المتوقعة، ويعتادون استخدام هذه الإستراتيجية، ويستطيع المعلم أن

يسجل تلك الأفكار لغربلتها، وانتقاء ما يتفقون على أهميته منها، فإذا كان الموضوع علميا فيبدع الطلاب في توليد أفكار جديدة، وإذا كان أدبيا يستطيعون تكوين صور لا حصر لها، وتنمو لديهم الذائقة الأدبية، وبالممارسة والتوسع في استخدام هذه الإستراتيجية ترسخ لدى التلاميذ فكرة الإبداع وتكوين الصور والأفكار ويتبارون في ذلك.

٣. استخدام تقانة التناظر الشخصي: وهنا يطلب المعلم إلى الطلبة أن يضعوا أنفسهم مثلا: مكان القلب أو البحر ومن ثم يصفون مشاعرهم.

٤. يطلب المعلم إلى الطلبة وضع الكلمات التي ولدوها في الخطوات السابقة على شكل أزواج متناقضة أو متضادة، وتوضيح السبب في وجود التناقض ثم يتم اختيار أحد الأزواج بالتصويت، مثلا: بحر: بر، سماء: أرض، رجل: امرأة.

٥. يطلب المعلم إلى الطلبة إيجاد صيغة تناظر مباشر جديدة باختيار فكرة توحى بها الكلمتان اللتان تم اختيارهما في الخطوة السابقة، وهنا قد يتوصل الطلبة إلى وصف أو ناتج باستخدام الأفكار التي تم توليدها خلال هذه العملية من خلال التركيز على فكرة التناظر أو قد يستخدمون غيرها من خلال ما تم طرحه من أفكار.

لو تم إعطاء التلاميذ الصغار أو الكبار بعض الأدوات المستخدمة يوميا، مثل: حقيبة، قلم، شماعة، كرسي، طاولة، سرير وأي كلمة نستخدمها فعليا، ثم نطلب إليهم أن يقوموا بربطها عشوائيا مع كلمات نحددها لهم بطريق عشوائي ستجد أن من بينهم من تبرز له فكرة إبداعية تلفت نظر المعلم، والطلبة، وستكون محط اهتمامهم، وبالإضافة إلى ذلك فنحن ننمي اللغة بتوليد كلمات ومصطلحات واستعمالات جديدة لناخذ مثلا: مطرقة، أعط الطلبة كلمات عشوائية لكي تتداعى أفكارهم عن طريق ربط هذه الأداة بتلك الكلمات، مثل: ضرب، قتل، كتابة، صناعة، سفينة، بحر، شمع، نوم، لعبة، جهاز كمبيوتر، عصفور، أغنام، صفائح ثم اجعله يربط بين استعمال المطرقة مع كل مفهوم من المفاهيم السابقة، سترى مثلا:

استخدامها مع كلمة سفينة: نجمع عددا ونجعلها مرساة، نصنع منه سفينة، نجعلها سارية، ندافع بها عن ركاب السفينة عندما تهاجمهم الحيوانات البحرية، نستخدمها عندما يحل الظلام، لتخويف الأعداء، نصهرها ونصنع منه آلات قتال، وسكاكين، ملاعق، شوك، نكسر بها الأحجار الصلبة، نعدل بها المسامير، وغير ذلك. وهنا سيأتي الطلبة باستعمالات غريبة قد لا تخطر على الذهن، ويظهر إبداعهم الحقيقي الأصيل، وينمو لديهم حب التفكير (بوزان، ٢٠٠٦م، ص ٨٣).

(ملاحظة مهمة: نود أن نلفت النظر إلى تخطيط الموقف التعليمي عن طريق هذه الاستراتيجية، ودراسته بدقة قبل طرحه على الطلبة لما يريد التوصل إليه، وليس شرطا اتباع هذه الخطوات جميعها فقد يكون الهدف الاستفادة من توليد الأفكار، والصور، وتشجيع الطلبة على ذلك، وقد نجد أحيانا أن الطلبة قد تجاوزوا ما كان قد خطط له، وهذا أمر طبيعي فنحن نتعامل مع عقول مختلفة التكوين والإبداع والذكاء، والسيطرة المخية، ولذا يجب أن نكون على وعي تام بذلك، ونود كذلك أن نلفت النظر إلى أن هذا الأمر يحتاج إلى بذل المزيد من الجهد، والابتعاد عن المواقف المرتجلة غير الهادفة لأنها قد تسيء بشكل كبير إلى الطلبة، ومهارات التفكير، وقد تؤدي إلى نتيجة عكسية أو إلى السخرية أحيانا من مثل هذه العمليات، فينقلب السحر على الساحر، ويكون الطلبة فكرة سلبية عن هذه الأنشطة، ومن المهم جدا أن نتذكر دائما أن الهدف من ذلك هو تعليم التفكير في المواقف المختلفة، وتدريب الطلبة على ذلك).

وحتى تتم الاستفادة من هذه الإستراتيجية، رأينا أن نعرض المثال الآتي وهو درس بعنوان "الكليتان" (هناك دروس مشابهة في القراءة يمكن استخدامها والتطبيق عليها، وهنا نقدم الفكرة فقط) (جروان، ٢٠٠٢م، ص ٢٥٩).

عرضت إحدى المدرسات هذا الدرس، وتركت للطلبة إعطاء أمثلة ونماذج مناظرة للكليتين، ونماذج تقوم بوظائف

مشابهة، ومما ذكره الطلبة في تشبيه عمل الكليتين:

- فلتر الوقود أو الهواء في السيارة؛
- فلتر آلة صنع القهوة؛
- غربال القمح أو منخل الدقيق؛
- غربال الحصى في كسارة الحجارة؛
- مواقف السيارات الحديثة.

٣. كيف نطبق إستراتيجية تأليف الأشثات على مادة البلاغة؟

يمكن أن يطبق هذا البرنامج بشكل مباشر وعملي على دروس البلاغة، بالإضافة إلى مهارات التفكير الأخرى، وهنا نود أن نشير إلى أن الاستفادة من مثل هذه البرامج لا تعني تطبيق هذا البرنامج كاملاً بحذافيره كما وضعه الواضع الأول وطبقه، وإنما نأخذ منه ما نستطيع تطبيقه ويتوافق مع اللغة مستفيدين من طرح هذه النظرية ومن عملية التناظر التي تحدثنا عنها من خلال هذه النظرية، ولا شك أن كثرة التطبيق تكسبك مهارة فائقة حتى في تطوير هذا البرنامج نفسه، ولا شك أن تطبيق هذا البرنامج أفضل ما يكون في دروس التشبيه حيث هو تناظر مباشر، وفي الاستعارة، والمجاز المرسل، والكناية. وسيجد المعلم متنفساً لطلبه للمناقشة والإبداع، ولا شك أن التناظر اللغوي يؤدي إلى الإبداع في كل المجالات، ويستطيع المحاضر أن ينقل بذكاء أثر هذا التدريب اللغوي للاستفادة من إبداعات الطلبة في المجالات الأخرى علمية، أدبية، اجتماعية، وغيرها. ولا يقتصر على اللغة فقط متذرعاً بأن هذا ليس مجال أو نطاق تخصصه، وتركه لمادة العلوم أو الرياضيات، ولا نطلب في الوقت نفسه تحويل درس البلاغة إلى درس علوم وغيره، ولكن القصد تفتح أذهان الطلبة وإبداعاتهم، واستغلال هذا الإبداع في المجالات الأخرى مما تنعكس نتائجه الإيجابية على تعلم الطلبة وقدرتهم على خلق روابط مشتركة بين العلوم المختلفة آخذين في الاعتبار أن اللغة أيضاً هي علم من العلوم.

لا نستطيع أن نتطرق إلى كثير من الأمثلة التطبيقية في هذا البحث، ولكن يستطيع المعلم الاستفادة من ذلك قدر الإمكان، فلو اختار جعل المألوف غريباً أو جعل الغريب مألوفاً، وطبق ذلك على التشبيه، فسيجد ذلك ملائماً وبخاصة تشبيه التمثيل كما أوضحنا فيما سبق، وكما سيتضح لك من خلال الأمثلة الآتية:

١- قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حَمَلُوا النُّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الجمعة ٦٢: ٥).

٢- قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ (المدثر ٧٤: ٥٠-٥١).

٣- قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ (الأعراف ٧).

(١٥٤).

٤- قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (البقرة ٢: ١٦-١٨).

تأمل الآيات السابقة مستخرجاً الصور البلاغية الرائعة بل المعجزة التي جعلت العرب البلغاء يقفون مشدوهين أمام بلاغة القرآن الكريم، وتلك الصور التي لا تبعث على الإعجاب فقط بل تجعلك تدرك السر في إعجاز القرآن الكريم، ولن نتحدث هنا

عن تلك البلاغة والإعجاز فقد استوفته المؤلفات البلاغية وكتب التفسير بل نكتشف فيه كل يوم شيئاً ومظهراً إعجازياً جديداً، وقد جئنا بهذه الأمثلة كي تتأملها وتحس بمدى عمقها، وكيف أن البشر مهما أوتوا من البلاغة والعلم لن يصلوا إلى مستوى ذلك الإعجاز، فلو تأملت في الصورة الأولى: صورة الحمار وهو يحمل على ظهره مظان العلم، وصورة أولئك الذين أوتوا العلم الرباني الذي ينير لهم الطريق، ويسعدهم في الدنيا والآخرة، ولم يأخذوا به؟! على الرغم من التعب الحاصل من حمله، وعدم الانتفاع بما تتعب في حمله وتبذل الجهد الكبير فيه، وكأن ذلك إشارة إلى التعب الذي سيلحق بهم حتى يوم القيامة. أي مقارنة معجزة، بل أي صورة! بل أي تناظر!

لا شك بأنك توصلت إلى الصورة الثانية في الآية الكريمة، وجمال الصورة وجدتها، وكيف تراها متحركة أمامك وتخيّلها بكل قوة وهو ما أطلق عليه العلماء اليوم (الحس المتزامن، أي رؤية، حركة، إثارة، لون). أما في الآية الثالثة فيكفي أن تفكر في كيفية ربط الفعل «سكت» بالغضب، وأي قوة في التعبير تدركها وتخيّلها في تلك الصورة الاستعارية.

ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن كثرة تصنيف القدامى في علوم القرآن وبخاصة ما جمعه العلماء في غريب القرآن، تجد أنه إنما كان غريباً من أجل استعارة هي فيه، كمثل: ﴿وَأَشْرَبُوا بِقُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ﴾ (البقرة ٢: ٩٣) دون أن تكون الألفاظ غريبة في ذاتها، ولذا يتوهم البعض عند سماع مصطلح غريب القرآن بأن ذلك يكمن في اللفظ ولكنه يكمن في تلك الصور المعجزة التي حيرت البلغاء، ولو أنك تأملت الكلمات الواردة في الآية الكريمة لوجدتها مألوفة ومعانيها واضحة ولكن بلاغة الاستعارة هي التي جعلتها غريبة على مداركنا وأسماعنا، وقد أفاض البلاغي والناقد العربي الأصيل عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز عند حديثه عن نظرية النظم عن هذه الظاهرة.

هذه بعض الأمثلة فقط استشهدنا بها على بلاغة الصورة التي جاء بها القرآن الكريم، ولا نريد أن ندخل في تفاصيلها التي تحير العقول والألباب، ولا نرى إلا جانباً واحداً فقط منها بحسب ما نستشهد به في هذه المواضع. وإنما أتينا بها لكي يبقى ذلك الكتاب المعجز نبراساً لنا في التطبيق على أمثلة وشواهد غير مسبوقه وخير ما يتمثل به للنماذج البلاغية الرفيعة في لغة الإبداع والعلم.

٥- قال أبو تمام يصف مغنية تغني بالفارسية:

ولم أفهم معانيها ولكن ورت كبدي فلم أجهل شجاها
فبت كأنني أعمى معنى يحب الغانيات وما يراها

فالإبداع في الربط بين الصورتين. تناظر مباشر بين صورة الأعمى يتخيل صور الغانيات، وصورة من يستمع إلى شيء لا يفهمه ويعجب به، وربط ذلك بصورة إبداعية.

٦- حاول من خلال الربط بين بعض الكلمات الآتية أن تكون صورة بحيث تجعل الغريب مألوفاً أو المألوف غريباً:

غراب، ورق، حبر، سماء، نجوم، رجل، قهر، عذاب، حب، أمل. حرية باب، أنا، حضارة، رعب، بحر)

(ملاحظة: اختيار الكلمات بصورة عشوائية سيكون لها وقع أو معنى في ذهن كل شخص يختلف عن الآخر. اترك لتفكيرك

العنان للربط بين هذه المتناقضات، والصورة التي تكونها ليس شرطاً أن تطابق الواقع، وهي مقبولة مهما كانت).

٧- (مثال محلول): كيف استطاع الشاعر أن يجعل الغريب مألوفاً؟ لاحظ الصورة الآتية في قول ابن الرومي:

ولا زورديّة تزهو بزرقتهها بين الرياض على حمر البواقيت

كأنها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت

فإن صورة النار بأطراف الكبريت لا يندر حضورها في الذهن، وإنما يندر تخيلها وحضورها مع حضور البنفسج، فلو حاولت تجميع هذه الصورة من الكلمات الواردة في البيتين ستجد أنها تتكون من: كبريت، نار، رياض، ياقوت، أحمر، أزرق، لازوردي. كيف استطاع الشاعر جمع هذه الصورة المتخيلة البعيدة من هذه الأشتات المتفرقة والبعيدة عن الذهن، فجعلها صورة بلاغية مألوفة لدينا، وجميلة وممتعة، ولا تحمي من الذاكرة من خلال تأليف الأشتات وجمعها في صورة تنم عن الإبداع الحقيقي في وصف زهرة البنفسج (اشتعال عود الكبريت صورة مألوفة، جعل الشاعر المألوف غريبا عن طريق تشبيه التمثيل).

ولذا نستطيع تنمية هذه المهارة واكتشاف المبدعين من الطلبة من خلال إعطاء بعض الكلمات المتناثرة التي تبدو لا رابط بينها، وسيجد أن هناك من يستطيع أن يستخرج منها صورا غير متوقعة.

٨- اقرأ هذين البيتين ثم أجب عما يليهما من الأسئلة:

قال المجنون:

فأصبحت من ليلى الغداة كقباض على الماء خاتته فروج الأصابع

قال عروة بن حزام:

تبدت لنا كالشمس خلف غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب

كيف استطاع الشاعران أن يجعلوا الغريب مألوفاً من خلال هذين التشبيهين؟

كيف استخدم الشاعران التناظر المجازي لتصوير عواطفهما؟

حاول أن تجد تناظرا مماثلا لما جاء به الشاعران.

ما الذي أوحى للشاعرين بتكوين هذه الصور؟

أما بالنسبة للتلاميذ الصغار فيستطيع المعلم تنمية هذه المهارة عن طريق إعطاء قائمتين من الكلمات لإجراء المزاوجة بينهما واكتشاف علاقات جديدة فيما كان المعلم اتباع هذه الطريقة المسلية للتلاميذ الصغار:

١- اختيار كلمة أو موضوع معين، ولنفرض أنه وضع الكلمات الآتية: سماء، مسجد، جيران، عصفور، مطر ثم يطلب إليهم أن يصفوا هذه الكلمة بعبارة أو فقرة معينة.

٢- يختار المعلم كلمات أخرى مثل: بحر، هواء، أرض، زراعة، شجر، غابة، ثم يطلب إلى الطلبة أن يفكروا في تكوين قائمة من أوجه الشبه بين كل كلمتين مثل: «مطر» و«بحر».

٣- يطلب المعلم إلى الطلبة أن يستخدموا التناظر المباشر، ويقترحوا أفكارا كنموذج للتناظر الشخصي، أي يصفون مشاعرهم وهم يضعون أنفسهم مكان الشيء الذي اختاروه.

٤- يطلب المعلم إلى التلاميذ أن يضعوا الكلمات التي شكلوها في الخطوات السابقة على شكل أزواج متناقضة (بحر عصفور) ثم يختار أحد هذه الأزواج عن طريق التصويت، أي ما يجمع عليه اختيار أكثرية التلاميذ.

٥- يطلب المعلم إلى التلاميذ إيجاد صيغة تناظر مباشرة جديدة باختيار فكرة توحى بها الكلمتان اللتان تم اختيارهما في الخطوة السابقة.

٦- يعيد المعلم التلاميذ إلى الخطوة الأولى (المشكلة الأصلية) فقد يكونون مهئين للتوصل إلى أفكار جديدة بشأن ما تم، واستخدام الأفكار التي تم توليدها خلال هذه العملية، وقد يركزون على ما توصلوا إليه في عملية التناظر الأخيرة.

لقد قمنا من خلال هذه الخطوات بخلق جو مريح، وإبداعي مخطط لتدريب التلاميذ الصغار على توليد الأفكار من خلال تدريس اللغة، واكتشاف المتميزين من الطلبة، وتنمية إبداعاتهم وجعل التعلم ذا معنى حقيقي في أذهانهم من خلال تلك العملية الشائقة (أبو جيب، ٢٠١١م، ص ٢٦٠).

٤ - ١. تطبيق على درس الاستعارة

لا شك أن تدريس مادة البلاغة في اللغة العربية للمرحلتين الثانوية والجامعية يشكل عبئا على المعلم والمحاضر في طريقة عرضه للدرس، وإيصاله معلومات نظرية للطلبة كثيرا ما يقومون بنسيانها بعد تقديم الاختبار، وقد ظلت مادة البلاغة تدرس بنفس الأسلوب منذ القديم وحتى الآن، وحتى الأمثلة نفسها وطريقة الشرح، وبإمكاننا اليوم أن نضفي عليها عنصر الإثارة والتشويق من خلال الإستراتيجيات الحديثة، وإدخال مهارات التفكير؛ بحيث نحيلها من مادة نظرية جامدة إلى مادة مثيرة شائقة؛ تتجلى فيها عناصر الإبداع والإثارة والتحدي بأسلوب بعيد عن التكلف والإقحام، وخير إستراتيجية يمكن استخدامها لذلك هي إستراتيجية تأليف الأشتات، وهي قائمة في أصولها على المجاز، والاستعارة وتعد من أهم مكوناتها الرئيسية، ولذا نهيب بالمعلم أن يطلع على أصول هذه النظرية، وخلفيتها، ومن ثم يحاول التطبيق في دروس البلاغة، وهي تنطبق تقريبا على كل دروس البلاغة وبخاصة البيان، من مجاز مرسل واستعارة، وتشبيه بأنواعه المختلفة والكناية وكلها تدخل في صلب هذه النظرية، ومن مكوناتها الأساسية، وقد تم استغلال المجاز لكثير من المكتشفات العلمية الحديثة. وسنوضح طريقة تدريس الاستعارة انطلاقا من مبادئ هذه الإستراتيجية الرئيسية.

من خلال تدريسنا (الاستعارة) وبعد شرح مفاهيمها الأساسية بأي شكل يراه المدرس، يستطيع أن ينمي مهارات التفكير لدى الطلبة من خلال توجيه أسئلة تدور حول مفاهيم الاستعارة والمجاز، والتشبيه، وكلها مترابطة ومرتبطة بالطالب قبل ذلك، والاستعارة بحد ذاتها تشبيه حذف أحد طرفيه، كما يستطيع الربط بين هذه المفاهيم والإبداع بصورة مبتكرة من خلال الآتي:

١. قد أشرنا عند حديثنا عن هذه الإستراتيجية كيف يمكن للطلبة أن يكوّنوا صورا استعارية من كلمات غير مترابطة المعنى، وبإمكان المعلم استغلال هذا الدرس وإسقاط هذه المفاهيم بكل كفاءة، للتدرب على هذه المهارة والإتيان بصور إبداعية جديدة.

٢. بإمكاننا تدريب الطلبة على استخدام الكلمة العشوائية لإنتاج صور استعارية جديدة: حيث نقوم بتسجيل كلمتين أو أكثر ويطلب إلى الطلبة تكوين استعارات تعبر عن هذا المعنى، مثلا: في استخدام الاستعارة في وصف فتاة جميلة يمكن أن يكون الطالب عبارات استعارية على النحو الآتي: رأيت غزالا، أطل القمر، طلعت الشمس، أقبلت مهابة، لمع النجم صباحا، تمايل الغصن.

وهنا سترى كثيرا من الاستعارات الجميلة، وسيطور المعلم مفهوم الاستعارة وينقله إلى التعامل اليومي واللغة الوظيفية الإبداعية، ولا بد أن تظهر هذه الإبداعات من قبل الطلبة، ومهما كانت تراكيههم بسيطة أو متكلفة إلا أنها ستتطور مستقبلا، وسيدركون قيمة البلاغة الوظيفية من خلال أمثلة واقعية، ومصنوعة، وتلقائية، وسيظهر من بينهم المبدعون، وقد يطور المعلم استخدام هذه الإستراتيجية في مواد أخرى، وعلى الأقل سيشير إلى أن الطلبة يمكنهم استخدامها في أي مجال من المجالات الدراسية

(العلوم مثلا)، وعلى كل ستبقى مخزنة في أذهانهم، وكلما سنحت فرصة يقوم المعلم بتثبيت هذه المهارة، وتكوين استعارات مختلفة لا حصر لها (تصريحية، ومكنية، وتمثيلية) من مفهوم واحد.

٣. المقارنة والتحليل بين صورتين: إحضار صورة استعارية لشاعر (بيتا من الشعر مثلا أو نصا نثريا تتجلى فيه قيمة الاستعارة، ومحاولة تقليدها والإتيان بصور على غرارها، مثال: قال كثير عزة:

رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر ظواهر جلدي وهو للقلب جارح

بعد شرح البيت وبيان جمال الاستعارة فيه من تشبيه الطرف (العين أو النظرة بالسهم) الذي يجرح القلب دون التأثير في الجسد، يطلب إليهم تكوين صور استعارية نثرية أو شعرية بحسب مقدرتهم من أفكارهم وتخيلاتهم مهما كانت بسيطة أو سطحية؛ فالمعلم يحقق أهدافا كثيرة، حيث يترسخ مفهوم الاستعارة أولا، ويأتي الطلاب بصور استعارية يظهر من خلالها المبدع والموهوب والشاعر، كما أنه يثري مهارات التفكير لدى الطلبة، والأهم من ذلك كله أن بعض الأفكار التي يأتي بها الطلبة مهما كانت بسيطة أو سطحية تقود إلى أفكار وصور جديدة من قبل الآخرين؛ قد يظهر من خلالها الإبداع والتميز (على قاعدة كل شيء يرتبط بشيء آخر) (بوزان، ٢٠٠٦م)، هذا ومن نافلة القول أن طلبتنا قد اعتادوا: إما على الحل واستخراج المطلوب من صور موجودة، أو تقليد الحل الوارد في النموذج، ولم يتعدوا ذلك إلا نادرا، وكذلك أسئلة التقويم أصبحت نمطية مقولبة لا تتعدى استخراج الاستعارة وإجرائها مع أن كثيرا من الطلبة والمعلمين حتى الناس العاديين يستخدمونها بمهارة وطلاقة دون أن يدركوا ذلك، وهنا نتيح للطلبة بأن ينتجوا اللغة، ويتقوا بأنفسهم وقدراتهم، وأن هذه المواضيع ليست للدراسة النظرية فقط وانتهى الأمر، بل هي من صلب حياتهم وواقعهم، فتشكل لديهم الجسارة اللغوية، وأن هذا الأمر ليس مقصورا على الشعراء والأدباء فقط، وتفتح لهم أبوابا من الإبداع في المواضيع الأخرى وتغرس لديهم نهجا سليما للتفكير، واستغلال طاقاتهم الكامنة.

كما يمكن للمعلم أن يقدم للطلبة استعارة نثرية بليغة كقول الحجاج: «إني لأرى رؤسا قد أينعت وحان قطافها» أو أي عبارة فيها استعارة نحو: «مدرستنا تصعد إلى النجوم» أو وضع لوحة أو صورة غريبة أمام الطلبة وتكوين استعارات حولها (نار متأججة، منظر طبيعي، طفل يغرق أو أي شيء يبدو مثيرا للتفكير والخيال)، حيث يقومون بصياغة استعارات مشابهة أو جديدة.

وهناك إبداعات لا حصر لها إذا وضعها المعلم في ذهنه وأحسن استغلالها وعمل على تطويرها (أبو جبين، ٢٠١١م، ص ٢٨٨).
٤. جعل المألوف غريبا وجعل الغريب مألوفا: وقد يبدو هذا المبدأ من أهم المبادئ التي تقوم عليها إستراتيجية تأليف الأشتات، وكما أوضحنا عند حديثنا عن الجانب النظري لهذه الإستراتيجية يعدّ هذا المبدأ من أهم مبادئ الإبداع الحقيقي، وهو الذي يميز المبدع من غيره ويمكن استغلاله في درس مثل درس الاستعارة على أفضل وجه، فهو ينطبق وينسجم مع مفاهيم هذا الدرس، وكلما كانت الصورة التي يأتي بها الطلبة موعلة في الغرابة كانت أقرب إلى أن يتمثلها العقل، وأن تشد إليها الانتباه والتفكير، ولو أجرى المعلم مقارنة بين الصور الشعرية الإبداعية الجميلة لوجد أن أفضلها ما كان يتصف بالغرابة والبعد، سواء في جعل المألوف غريبا أو جعل الغريب مألوفا، وقد أوضحنا ذلك في الجانب النظري، وما يهمنا هنا هو التطبيق الفعلي من جانب الطلبة والإتيان بالاستعارات الغريبة الجميلة.

بإمكان المعلم أن يأتي بمفهومين أو أكثر، ويطلب إلى الطلبة الربط بينهما بصورة استعارية مبتكرة؛ فلو طلب إليهم أن يأتوا باستعارات غريبة ويربطوا بين الكتاب والشجرة مثلا، فسيقوم الطلبة بتمثيل ذلك في صور استعارية مستوحاة من هذين المفهومين، وستلاحظ أن بعضهم سيأتي باستعارات غريبة بحسب توجيه المعلم، فاستعارة مثل: «الكتاب يثمر» تعدّ قريبة ومكشوفة وواضحة

وكذلك العلاقة بينهما (المقارنة بين الإثمار وفائدة الكتاب)، ولكن يمكن أن يأتي الطلبة باستعارات غير متوقعة مطلقاً؛ لأن هذين المفهومين سيقعان على عقول مختلفة ومن ثم سيكون الناتج مختلفاً أيضاً مثل: الكتاب يتجمد، يحترق في الصدور، يشتعل، يموت، يمشي، يتهاوى، يشمئز، ينصهر، يسبح، يبهر.

وهنا قد تبدو للمعلم بعض الاستعارات السطحية والبسيطة والهزلية أحياناً، ولكن عليه أن يتذكر أن الإبداع الحقيقي يولد من رحم هذه العبارات دون أن نعي ذلك، وقد يتخذ بعض الطلبة ذلك من قبيل اللعب أو يسخرون أو يثيرون بعض الفوضى، والسبب أنهم اعتادوا على النمط التقليدي الجاد في الموقف التعليمي، ولكن الأمر عندما يتكرر وبقليل من الإرشاد والضبط سيتعود الطلبة هذه الطريقة ويدركون مدى الفوائد التي تعود عليهم وعلى مجتمعهم، من خلال تركيز المعلم على ثقافة الإبداع وأهمية المبدعين، واستخراج نماذج حقيقية إبداعية من أفكار الطلبة، وتعزيز أصحابها وتوجيههم، إضافة إلى تخزين مفهوم الاستعارة في ذاكرتهم طويلة المدى من خلال هذه المواقف المثيرة.

وإذا كانت هناك صعوبة في تطبيق ذلك لدى المعلم لأسباب قد يراها منطقية ننصحه بأن يقسم الطلبة إلى مجموعات صغيرة ويعمل مع كل مجموعة على انفراد مما يسهل عليه الأمر فيما بعد للتعامل مع مجموعات أكبر. ومن الضروري عدم الاسترسال في توليد الأفكار، ووضع زمن محدد لإنهاء التدريب حتى لو لم يستكمل البعض عرض أفكارهم؛ لكي يعتاد الطلبة السرعة والجدية في الأمر؛ حيث يعدّ تحديد الزمن ضرورياً جداً للإبداع.

٥. هناك مجال رحب لتطبيق هذه الإستراتيجية من خلال الاستعارة التمثيلية، وذلك لسهولة استحضار المواقف المشابهة، سواء في النثر أم الشعر أم الأمثال الشعبية؛ حيث تتجلى الاستعارة التمثيلية، فنحن نستعير موقفاً ما للتمثل به في موقف مشابه أو قريب منه، ويمكن تكوين استعارات لا حصر لها، ولكن الاستعارة الجميلة (البعيدة أي التي تجلى فيها جعل المألوف غريباً أو جعل الغريب مألوفاً) هي التي بقيت سائدة وانتشرت على مر الأزمان، واحتفظت بنكهتها الإبداعية وما ذلك إلا لأن صاحبها أبدع في الإتيان بها، فرواها الناس من بعده وبقية متداولة، ويستطيع الطالب المبدع أن يأتي بمثل ذلك ما دام يمتلك اللغة، والتجربة الخاصة به، مثال: يقول المتنبي فيمن لا يتذوق الشعر الجميل:

ومن يك ذا فم مريض يجد مرابه الماء الزلالا

وأنت تستطيع استعارة هذا البيت لينطبق على ما لا يخص من الحالات المشابهة؛ ليس في الشعر ولكن في كل المواقف الحياتية. ويستطيع الطلبة صياغة استعارات قريبة تتضمن مضمون هذا البيت.

- كيف يستطيع المعلم أن يطبق ذلك من خلال إستراتيجية تأليف الأشتات؟
- غير كلمة فم بأقصى ما تستطيع من كلمات، وغير ما يلزم في بقية البيت لتكوين استعارات جديدة (لاحظ هنا أنه استخدم المرونة والطلاقة من مهارات التفكير الإبداعي).
- كوّن من خلال هذا البيت أقصى ما تستطيع من استعارات تمثيلية.
- يستطيع المعلم أن يأتي بمجموعة من الأمثال (الفصيحة، والشعبية، والمترجمة) ويطلب إلى الطلبة تكوين استعارات مشابهة لها (مثل: إن البغاث بأرضنا تستنسر، رب أخ لك لم تلده أمك، رمتني بدائها وانسلت، رب كلمة تقول لصاحبها دعني، أخذ القوس باريها، إنك لا تجني من الشوك العنب، لا في العير ولا في النفير).
- يمكن أن تطلب إلى الطلبة أن يأتوا بعدد كبير من الأحوال المشابهة التي يمكن أن تقال هذه الأمثال فيها.

• يطلب المعلم إلى الطلبة تكوين استعارات تمثيلية جديدة لمواقف عصرية محددة، يختار موضوعها الطلبة بأنفسهم وتكون من واقعهم ومن صلب اهتماماتهم، ويعرضها على السبورة للمناقشة واختيار أفضلها (ويمكن تطبيق ذلك من خلال المجموعات أو فرادى).

٥. استحضار أكبر عدد ممكن من الأمثال الشعبية المحلية، وقيام الطلبة بصياغة أمثال مشابهة أخرى بلغة محكية أو فصيحة، ومن الأمثال المشهورة: «عزة ولو طارت، باب النجار مخلع، عليك بالطريق ولو دارت، يا شايف الزول يا خايب الرجا، اعمل الخير وارميه في البحر، المنية ولا الدنية»، وأية أمثال شعبية محكية ومشهورة ومتداولة من بيئة الطالب. وهنا يأتي الطلبة بألفاظ تعبر عن المعنى نفسه بصورة مبتكرة، وقد يطلب إليهم قلب المعنى أو عكسه، أو تغيير بعض الكلمات لإبداع أشياء جديدة.

٦. استخدام الكلمة العشوائية لتكوين عبارات استعارية، حيث يتم اختيار كلمات بشكل عشوائي سواء من المعجم أو من الكتاب أو من الجريدة اليومية ويطلب إلى الطلبة تكوين عبارات استعارية، وهنا يشترط أن لا تكون الكلمات مختارة بل يتم الاختيار بشكل عشوائي كامل؛ فلو اخترنا كلمة ليل مثلا، وأردنا أن نختار كلمة أخرى لتكوين علاقات استعارية، فنطلب إلى الطلبة فتح كتاب البلاغة صفحة ٣٦، واختيار الكلمة ٢٢ من بداية النص، بشرط أن يكون للكلمة معنى (أي ليست حرفا أو أداة)، ولنفرض أن الكلمة العشوائية المختارة كانت (المتنبي)، وهنا نطلب إلى الطلبة تكوين عبارات استعارية من خلال هاتين الكلمتين.

ومن الأهمية بمكان هنا أن تحصل الإثارة الذهنية مهما كانت غرابة الكلمات أو بعد الاستعارات، فقد ينشئ الطلبة استعارات غريبة من وحي هذه الكلمات: «الليل يصيح في شعر المتنبي»، «المتنبي ينصهر ليلا»، «الليل يسير في ركاب المتنبي»، «الليل يفرح بلقاء المتنبي»، «المتنبي يحب ليلا»، «الليل يطير في شعر المتنبي»، «الليل يقطر دما عند المتنبي»، «الليل يختنق بضوء القمر في أدب المتنبي»، «المتنبي يشتعل ليلا»، «الليل يجرح المتنبي» وهكذا بطريقة شائقة بعيدة عن التكلف والجفاف نغرس في الطالب حب اللغة والإبداع وتكوين صور استعارية جميلة.

٦. مزايا هذه الطريقة

يمكن تلخيص مزايا استخدام إستراتيجية تأليف الأشتات في التعليم على النحو الآتي:

- ١- إمكانية استخدامه في جميع المراحل وجميع المستويات؛
- ٢- مساعدة الطلبة على توليد استجابات وإبداعات لحل المشكلات؛
- ٣- استكشاف القضايا والمشكلات الاجتماعية؛
- ٤- مساعدة الطلبة على كسر الجمود الذهني وتذويت المفاهيم المجردة (أي تصبح جزءا من ذاتهم وتفكيرهم)؛
- ٥- ربط التعلم الجديد بالخبرة السابقة عن طريق النماذج والأمثلة المناظرة؛
- ٦- تعزيز عمليات التفكير الترابطي وتسهيل عملية التعلم وإثارة الأسئلة؛
- ٧- يمكن استخدامها بفاعلية مع الطلبة الموهوبين والعاديين والذين يعانون صعوبات في التعليم أيضا.

وقد أكد الخبراء التربويون والباحثون في مجال الإبداع أهمية استخدام وظائف النصف الأيمن التي تختص بالعمليات المجازية والحدسية، واقترحوا طرائق وأساليب عديدة لتنمية مهارات التفكير المجازي باستخدام أنماط التناظر والمجاز المختلفة، حيث تعد الأكثر ارتباطاً بالإبداع والحل الإبداعي للمشكلات.

٧. سلبيات هذه الطريقة وعيوبها

- ✓ احتواؤها على كثير من منحيات التعلم مما قد يشقت الطالب؛
- ✓ تحتاج إلى وقت طويل لإيجاد بيئة آمنة يشعر الطلاب فيها بالراحة لتقاسم الأفكار غير العادية للتوصل إلى النتائج المنطقية؛
- ✓ يجد المعلم صعوبة في عدم قدرة الطلاب على الربط بين القياس وأصل المشكلة؛
- ✓ عدم وجود فصول دراسية مناسبة حيث إن عدد الطلاب الكبير يعيق المناقشات الفعالة كما أن الطلبة يتحدثون طوال الوقت؛
- ✓ عدم تشجيع مساهمات الآخرين من الطلبة وبخاصة في جعل الغريب مألوفاً.

٨. نتائج البحث

- من خلال عرضنا لهذه الإستراتيجية نستنتج ما يلي:
- ١- إمكانية التطبيق وليس الاقتصار على المفاهيم النظرية؛
 - ٢- هناك مجال رحب لتطبيق هذه الإستراتيجية في تدريس البلاغة؛
 - ٣- نستطيع الربط بين البلاغة والإبداع في مجالات أخرى؛
 - ٤- عدم الاقتصار على تدريس الفنون البلاغية لذاتها؛
 - ٥- الربط بين العلوم التربوية والنفسية واللغوية؛
 - ٦- التدريب على البرامج والإستراتيجيات الحديثة، وتركيز مراكز التميز المنتشرة في الجامعات الفلسطينية على هذه الجوانب.

٩. التوصيات

- ✓ ترجمة الكتب المتعلقة بالإبداع ومهارات التفكير وتوجيه المترجمين ولفت نظرهم إلى أهمية ذلك؛
- ✓ الاهتمام الفعلي والحقيقي بالمبدعين من طلبة الثانوية العامة والجامعات؛
- ✓ نشر ثقافة الإبداع وتعريف الناس بأهميتها بكل السبل المتاحة (تلفاز، صحافة، ندوات)؛
- ✓ التدريب على المستجدات التربوية الحديثة؛
- ✓ إدخال مسابقات تنمي الإبداع في الخطط الجامعية وتفعيلها؛
- ✓ طرح أسئلة تنمي التفكير في المقررات الدراسية المختلفة.

١٠. المقترحات البحثية

- ✓ توجيه وحث طلبة الدراسات العليا على إجراء دراسات تتناول المستجدات الحديثة والنظريات التربوية وتطبيقاتها المختلفة؛

- ✓ الاهتمام بالدراسات التجريبية والتطبيقية ؛
✓ إجراء دراسات بيولوجرافية إحصائية تبين وتحصر هذه الدراسات للتسهيل على الباحثين.



المصادر والمراجع

✽ القرآن الكريم

أ. العربية :

١. أبو جبين، عطا. (٢٠١١م). *إستراتيجيات ومهارات التفكير الإبداعي في اللغة العربية*. الإمارات : مكتبة دار الفلاح.
٢. _____ . (٢٠١٠م). *توظيف مهارات التفكير الإبداعي في مناهج اللغة العربية*. الملتقى الدولي حول منهاج تعليم العربية وتعلمها، الاختيارات النظرية وكيفية تطبيقها. ١٧- ١٨ / ٥ / ٢٠١٠. الجزائر.
٣. بوزان، توني وباري. (٢٠٠٦م). *كتاب خريطة العقل*. (ط ٣). السعودية : مكتبة جرير.
٤. بوزان، توني. (٢٠٠٧م). *الكتاب الأمثل في الخرائط العقلية*. السعودية : مكتبة جرير.
٥. جروان، فتحي عبد الرحمن. (٢٠٠٢م). *الإبداع*. الأردن : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٦. جيوفري بيتي. (٢٠٠١م). *كيف تنمي قدرتك على التفكير الإبداعي*. (ترجمة سامي تيسير سليمان). عمان: بيت الأفكار الدولية.
٧. عبد القاهر الجرجاني. (١٩٨٨م). *أسرار البلاغة في علم البيان*. بيروت : دار الكتب العلمية.
٨. القزويني. (٢٠٠٨). *الإيضاح في البلاغة*. بيروت : دار الكتب العلمية.
٩. الهاشمي، السيد أحمد. (١٩٩٩). *جواهر البلاغة*. بيروت : مؤسسة المعارف.

ب. الإنجليزية :

10. Gordon, W.J.J. and T. Poze. “*SES Synectics and Gifted Education Today*” [1980]. In *Creativity and Giftedness*. Thousand Oaks, CA: Corwin Press, 2004.
11. Gordon, William J.J. *Synectics: The Development of Creative Capacity*. (New York: Harper and row, Publishers, 1961
12. Jacobs, Michael. *EDF 366 Conceptions of Schooling: Context and Process*. Aurora, CO: Lifelong Learning, 2007.
13. Gordon, W.J.J. and T. Poze. “*SES Synectics and Gifted Education Today*” [1980]. In *Creativity and Giftedness*. Thousand Oaks, CA: Corwin Press, 2004.
14. Elena Bodrova and Deborah J. Leong, *Tools of the Mind: The Vygotskian Approach to Early Childhood Education* (Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1996), 9.

ج. المواقع الإلكترونية :

www.wikipedia.org/wiki/Synectics
www.innovaforum.com/tecnica/biografi_e.htm

